آثار هركولانيوم وبمباي

مدينة هركولانيوم من المدن الايطالية التي طمرها بركان يزوف لما طمر بومباي سنة ٧٩ بعد المسيح . وقد قرّر الآن الوزير موسوليني ان يعاد النقب عن آثارها على اسلوب علمي منتظم وان تؤخذ صور فتوغرافية لكل الآثار التي يعثر عليها . فرأينا ان نأتي على لمحة من تاريخ بمباي ووصف نكبتها ثم على لمحة من تاريخ هركولانيوم وما ينتظر انهُ يوجد فيها من الآثار النفيسة

بمباي

بمباي مدينة في ايطاليا واقعة الى الجنوب الشرقي من نابلي وأوّل ما ذكرت في التواريخ التي انتهت الينا قبل المسيح بثلاثمائة سنة وعشر سنين الاّ انهُ يظهر من آثار الابنية التي فيها انها اقيمت قبل ذلك بزمن طويل . وكانت في اول امرها مدينة يونانية ثم خضعت للرومانيين واستوطن فيها كثيرون من اغنيائهم. وبعد المسيح بثلاث وستين سنة حدثت فيها زلزلة شديدة مسببة عن ثوران جبل يزوف المشرف عليها وكان خامداً منذ اجيال عديدة فهدمت اكثر قصورها وبيوتها وهيا كلها ومشاهدها حتى ان دولة رومية نهت عن ترميمها الاّ ان اهاليها استأذنوا الدولة بعد قليل وشرعوا في ترميمها حسب الزي الروماني الجديد . ولم يمضِ عليها وقت طويل حتى دهمتها النكبة الشهيرة في اليوم الثالث والعشرين من اغسطس (آب) سنة ٧٩ مسيحية وكان اهاليها حينئذٍ محتشدين في مشهدها الكبير . وقد جاء وصف هذه النكبة العظيمة في بعض التواريخ القديمة ولكن لسان حال خرائبها وهيئة رمم اهاليها المدفونين فيها بصفاتها ببلاغة تفوق بلاغة كل واصف

قلنا ان اهاليها كانوا محتشدين في مشهدها لما دهمتها تلك النكبة واذ هم غائصون في بحر الملاهي زلزلت الارض زلزالها وفغر يزوف فاهاً كالهاوية خرجت منهُ سحابة من الرماد طبقت الجو وانهالت على المدينة انهيال السيل فطمرتها وارتفعت على ارضها ثلاث اقدام فهرع المبهوتون من المشهد طالبين النجاة وبهم من الخوف ما يكلّ القلم عن وصفهِ وساعدتهم التقادير فنجا اكثرهم ولكنّ قوماً منهم ادركتهم المنية وهم فارّون فلم يروا لقضاء مردّاً . وقوماً رجعوا الى المدينة لانقاذ شيء من امتعتهم فكانوا كمن سعى الى حتفهِ بظلفهِ . ثم

بعض آثار هركولانيوم النفيسة

مقتطف اغسطس ١٩٢٧

امام الصفحة ١٧٥

تلا انهيال الرماد انهيال الحُمَم والابارق[1] وهي في حالة الاشتعال فاحترقت من لظاها كل مادة قابلة الاحتراق وكانت الطبقات العليا من المنازل خشبًا فامست رمادًا هي وكل الابواب والشبابيك والاواني الخشبية التي في الطبقات السفلى واستمرّ انهيال الحُمَم حتى امتلأت بها البيوت والهيا كل والمشاهد والازقة والشوارع وعلت فيها ثمانية اقدام ثم اخذ الرماد ينهال وعقبتهُ الحُمَم الى ان صار علو الجميع نحو عشرين قدمًا فتغطت كل المدينة ولم يبقَ منها شيء ظاهرًا . اما السكان فهرب اكثرهم حال انهيال الرماد ولكن قومًا منهم التجأوا الى منازلهم او الى الابنية القريبة منهم فغدت لهم مدافن . ومنهم مَن قادهم طمعهم الى انقاذ شيء من جواهرهم وامتعتهم كما قلنا سابقًا فدُفنوا معها ولم تزل شاهدةً على جشع الانسان وتعلقهِ بحطام هذه الدنيا . وقد وُجد في ما كُشف منها الى الآن رسم كثيرة وكلٌّ منها تاريخ ناطق بعظم تلك البلية . ومن هذه الرسم ما تنتنت لرؤيتهِ الاكباد فهنا ترى الوالدة الحنونة ضامةً طفلها الى صدرها ولكن لا للرضاع ورب البيت وامرأتهُ واولادهُ حولهُ وكلهم دُفنوا في قيد الحياة وشرخ الشباب . وهناك ترى الخصين متعانقين وعهدهم عدم الفراق الى الابد والاسرى مقيدين بالاغلال جاءهم القضاء المبرم فعجّل عقابهم او انقذهم من ظلم مستأسريهم . والخيل والبغال التي عاشت في عبودية البشر قد ماتت في جريرتهم وتساوت بهم في المدافن

كان النفلة يفرغون شارعًا صغيرًا مما فيهِ من الانقاض فعثروا على فراغ في الارض يحتوي عظامًا فدعوا السنيور فيورلي مدير العمل اليهِ فجبل طينًا وسكبهُ في ذلك الفراغ فانسبك حول العظام وعند ما نزع الردم من حواليهِ اذا باربعة اشخاص من الطين الصلب لا ينقصهم الاّ الحياة والنطق . ولا تزال هذه الاشخاص في معرض نابلي مشخصة سكان بمباي : وذلك لان الذين طمروا بالرماد بلي لحمهم وبقي محلهُ فارغًا فلما انسكب فيهِ الطين انسبك حول العظام فجاء اشخاصًا تعجز امهر النقاشين عن المجيء بمثلها . وواحد من هذه الاشخاص شخص امرأة وُجد بجانبها ٩١ قطعة من النقود وكاسان من فضة ومفاتيح وجواهر . والظاهر انها اخذتها وعمدت الى الفرار فسقطت في هذا الشارع ولم تزل مستلقيةً على جانبها الايسر وعلى رأسها نقاب لم يزل ظاهرًا في الصورة وفي اصبعها خاتمان وهي قابضة يدها قبضًا شديدًا بل اكثر اعضائها منقبض في هيئة مريعة ولا يراها احد

(١) الحم لغة الفحم والرماد وكل ما احترق من النار واصطلاحًا مواد البراكين الذائبة . والابارق لغة واصطلاحًا حجارة ورمل وطين مجتمعة معًا

الأ ويخالها آخذةً في النزع . وبجانبها امرأة وفتاة اما الامرأة فمن الرعاع ويعرَف ذلك من مقدار اذنيها وفي اصبعها خاتم من حديد ولا يظهر انها تألمت قبل موتها بمقدار ما تألمت الاولى . واما الفتاة فيظهر انها لا تزيد على الخامسة عشرة ومنظرها محزن جدًّا وكل شيء ظاهر فيها حتى طيات ثوبها ونسيجهُ ويظهر انهُ عند ما تراءت لها المنية اشتقت منها وغطت رأسها بثوبها فسقطت على وجهها وهي راكعة ولما تمذَّر عليها النهوض القت رأسها على ذراعيها واسلمت الروح . والشخص الرابع شخص رجل مستلقٍ على ظهره كمن لا يهاب الموت وذراعاهُ منبسطتان وجرموقاهُ مشدودان على ساقيهِ ولم تزل المسامير في نعليه وفي يدهِ خاتم حديد وفوهُ مفتوح وبعض اسنانهِ مفقود وعلى وجههِ امارات الهيبة والشجاعة

وروي ان رماد بزوف وصل حينئذٍ الى شواطئ افريقيا وحجب الشمس عن رومية حتى قال اهلها ان العالم قد انقلب وانحدرت الشمس الى الارض لتتوارى في الليل او ان الارض قد صعدت الى الشمس لكي تحترق بنارها الابدية . قال بلينيوس (وكان في ميسينوم) « ثم اخذ النور بالرجوع الينا و بان كل شيء حولنا مغطًى بالرماد كالارض اذا غطتها الثلوج »

ولم يزل هذا الغطاء السميك مكتنفًا اكتاف بمباي الى يومنا هذا . ومن شدة هذا الانقلاب تغيرت حدودها برًّا و بحرًا حتى تمذَّر على الناس ايجاد مركزها الحقيقي واستمرَّت في زوايا النسيان الى سنة ١٥٩٢ اذ كان المهندس فُنتانا يجرُّ قناة ماء الى مدينة نقرب منها فمرَّت القناة في خرائبها فعلم مقرها ولكن لم يُشرَع في كشفها حتى سنة ١٧٤٨ في عهد كارلوس الثالث . وقد وُجد في ما كُشف منها غرائب وتحف يعجز القلم عن وصفها فنظر فيها ذوو الخبرة واستدلوا منها على حالة تلك المدينة الادبية والسياسية والعلمية والصناعية

هركولانيوم

اما هركولانيوم فقد كانت مدينة يقطنها اعيان الرومان واشرافهم ويختلفون اليها للاستشفاء بهوائها المعتدل والتجاءً للطمأنينة والراحة من الاعمال وضوضاء العاصمة وقد دهمتها النكبة التي دهمت بمباي بل كانت النكبة في هركولانيوم اشدَّ منها في بمباي واكثر مفاجأة للسكان فدفنوا فيها من غير ان يتسع امامهم مجال الفرار . و يقال ان بلينيوس المؤلف المشهور كان قائدًا لاسطول من البحر في ميسينوم يوم ٢٣ اغسطس سنة ٧٩ ميلادية فلما رأى حمم البركان تتناثر في الجوّ وتتساقط على المدينة حاول ان

يقترب من البر لكي يخلص سيدة تدعى ركسينا فات اختناقاً بالغازات الكبريتية التي ملأت جوّ المدينة واتصلت بالبحر فسرقت فرقة

ويرى العلماء ان آثار هركولانيوم سلمت من التلف اكثر من آثار بمباي لانها غطيت بطبقة من الوحل الناعم سمكها نحو ٨٠ قدماً بخلاف بمباي فانها غطيت برماد حار اتلف اكثر ما فيها

وليست هذه المرة الاولى التي يعنى فيها الحكام والامراء والعلماء بالبحث عن كنوز هذه المدينة المطمورة فقد دارت اعمال النقب فيها سنة ١٧٠٩ بعناية الامير ابلوف ثم توقفت فترة من الزمن ثم دارت ثانية ١٧٣٨ بعناية الملك كارلوس ملك نابولي ثم توقفت وعادت فدارت مراراً في فترات مختلفة بعناية جمعيات من العلماء . ولم يُعنَ بها في العصر الحديث عناية خاصة حتى جاء الاستاذ ولدشتين واقترح ان تؤلف لجنة دولية من العلماء وان تشترك كل الامم في جمع المال اللازم للقيام باعمال النقب . وبعد مفاوضات طويلة مع الحكومة الايطاليه قررت هذه الحكومة انها تود ان تجري اعمال النقب على ايدي اساتذة ايطاليين وباموال ايطالية . ثم انقضت بضع سنوات ودارت رحى الحرب الكبرى فانصرف الناس عن العناية بالشؤون العلمية المجردة والمباحث الاثرية الى العناية باستنباط وسائل التدمير والخراب . ولما وضعت الحرب اوزارها تعيّن على رجال الدولة في ايطاليا ان يهتموا بتنظيم شؤونها الداخلية اولاً . اما وقد صفا الجوّ السياسي فيها وعادت المياه الى مجاريها فقد تنبّه موسوليني وزير ايطاليا الهمام الى وجوب العناية بهذه المدينة الناريخية وما فيها من الكنوز الاثرية النفيسة

وقد جاء في الانسكلوبيديا البريطانية ان مجموعة الآثار التي كشفت فيها في القرن الثامن عشر من انفس الآثار واعظمها قيمة في نظر اهل الفن والعلم واكثرها تماثيل ونقوش بازورة آية في دقة الصنع وميزان غاية في الفخامة واحكام الهندسة والبناء وقد عُثر في مكتبة احد اشرافها على كتابات قديمة نفيسة اكثرها لمؤلفين من اتباع الفيلسوف أبيقوروس . وقد نشرنا مع هذا الكلام صور بعض التماثيل التي وجدت فيها وهي كما ترى آية في دقة الحفر والتمثيل وهي كلها من البرونز وبينها تمثال لسنكا الحكيم الروماني وآخر لعطارد رسول الآلهة وآخر لبرسس ملك ابيروس